حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الاتفاقيات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين في عهد السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)

عبد الله بن زائد بن سليم النفيعي*

قسم التاريخ

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جميع الاتفاقيات والمعاهدات بين دولة المماليك والصليبيين في عهد السلطان المنصور قلاوون، كما تم التركيز على أسلوب كلا الفريقين في إدارة هذه الاتفاقيات والمعاهدات، ومدى توافق سياسة المماليك في إبرام الاتفاقيات مع الشريعة الإسلامية، ومدى نجاح السلطان المنصور قلاوون في الدفاع عن مقدرات الأمة الإسلامية وحقوقها وتحرير أراضيها ومقدساتها من العدو الصليبي، سواءً بالطرق الحربية أو الجهادية أو بالطرق الدبلوماسية.

كما تناول هذا البحث بعض نصوص الاتفاقيات والمعاهدات التي تمت بين السلطان المنصور قلاوون والصليبيين وأهم ما تطرقت إليه.

وقد توصل هذا البحث إلى نتائج مهمة، كشفت إلى أن الصراع الإسلامي الصليبي لم يكن فقط صراع حربي، بل تضمن أيضاً علاقات سياسية واقتصادية بين الطرفين، وقد نتج عن الاتفاقيات والمعاهدات الإسلامية والصليبية حل كثير من الصراعات بينهم وتحقيق فوائد سياسية واقتصادية لكلا الطرفين.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

المقدمة

بدأت دولة المماليك الصراع مع الصليبيين والمغول منذ بداية نشأتها وواجهت خطر الصراع مع الصليبيين أكثر من الصراع مع المغول، وذلك لأن الصليبيون سعوا إلى الاستيطان في الأراضي المقدسة بهدف السيطرة عليها وعلى المواقع الاستراتيجية في بلاد الشام ومصر فشنوا الحملات الصليبية في بلاد الشرق الاسلامي، وأنشئت الإمارات الصليبية على سواحل وأراضي الشام مما شكل تهديدا للهوية الإسلامية في المنطقة ونشرت الفوضى والفتن والصراعات بين صفوف المسلمين، أما المغول فكان لدخولهم في الإسلام الأثر الكبير الذي جعلهم جزءً من الحضارة والتاريخ الإسلاميين.

وبعد كل هذه الصراعات سخر الله للأمة الإسلامية من حملوا راية الجهاد وضد الصليبيين مثل المماليك الذين تمكنوا من تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام والتصدي لأي محاولة أخرى لإستعادة أماراتها السابقة.

ونظراً لما تمتع به سلاطين المماليك من القوة وبصفتهم حماة الخلافة العباسية فقد انتهجوا السياسة الدبلوماسية لحماية دينهم وأمتهم وقد أجروا العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع الصليبيين قبل حدوث معارك أو تصادم بين الفريقين.

وفي هذه الدراسة تم تسليط الضوء على أهم الاتفاقيات والمعاهدات التي تمت بين المماليك والصليبيين في عهد السلطان منصور قلاوون ومدى توافق تلك المفاوضات والمعاهدات مع مبادئ الشريعة الاسلامية وبفضل تلك السياسة الدبلوماسية استطاع المماليك النجاح في الدفاع عن مقدساتهم ومواطنيها من الاعتداء الصليبي.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في عدة نقاط:

١- تسليط الضوء على المفاوضات بين المماليك والصليبيين في إطار الصراع بين الطرفين.

٢- إلقاء الضوء على الاتفاقيات التي عقدت بين المماليك والصليبيين في عهد السلطان المنصور قلاوون ونتائجها على الصراع الإسلامي الصليبي.

٣- معرفة سياسة السلطان المنصور قلاوون في إدارة الاتفاقيات والمعاهدات مع الصليبيين.

أهداف البحث:

١- الوقوف على سياسة السلطان قلاوون في إدارة الصراع وإجراء الاتفاقيات والمعاهدات مع العدو الصليبي.

٢- التعرف على أهم بنود الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعها السلطان المنصور قلاوون مع الصليبيين.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة

- قام (صلاح، محمد سالم ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، بدراسة: "المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام دراسة تاريخية تحليلية نقدية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)" وهدفت الدراسة إلى التعرف على المحطات التاريخية في

جولات التفاوض بين دولة المماليك والصليبيين خلال الصراع الدائر بين الطرفين، وما نتج عن هذه المفاوضات من معاهدات تم الاتفاق عليها، وانعكاسات تلك المفاوضات والمعاهدات على الأوضاع الميدانية والساحة السياسية في بلاد الشام والعالم العربي وأوروبا.

- قامت (منى إبراهيم ١٩٧٥م)، بدراسة السفارات الأجنبية في مصر في عصر سلاطين المماليك، وتناولت هذه الدراسة السفارات التي استضافتها الدولة المملوكية، ويمكن الاستفادة منها في التطرق للمفاوضات بين السفارات الصليبية والدولة المملوكية.
- قام (ابو عليان، عزمي عبد محمد، ١٩٩٤م) بدراسة: (مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) وسعت الدراسة لتناول الصرع المملوكي الصليبي بكل جوانبه.

الاتفاقيات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين في عهد السلطان المنصور قلاوون:

انتهج المسلمون في وقت مبكر من تاريخهم الطرق الدبلوماسية كوسيلة أساسية في سياستهم الخارجية، وفي علاقتهم مع الدول والشعوب غير الإسلامية، ووجدوا في الشريعة الإسلامية مرجعًا في إقامة العلاقات الدبلوماسية، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات [١].

وتعتبر الدبلوماسية الإسلامية نموذجًا راقيًا ومشرفًا، سواء من حيث الشروط المطلوب توفرها في الرسول، أو من حيث مهامه، وحصانته وامتيازاته، كما أن الدبلوماسية الإسلامية هي التي تخدم مصالح وحقوق الشعوب الإسلامية، وتنتصر لقضايا الأمة الإسلامية، ففي عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- كانت الدبلوماسية في أسمى صورها؛ حيث بعث عددًا من رسله إلى قادة الدول والقبائل المجاورة؛ وذلك لدعوتهم للدخول في الإسلام، وإبرام عدد من الاتفاقيات، والمعاهدات السياسية [٢].

والواقع أن الدبلوماسية الإسلامية لا تختلف من حيث الأصول والإطار العام عن أي دبلوماسية أخرى، ولكنها دبلوماسية ذات خصوصيات تستمدها من القيم والمفاهيم الإسلامية، ومن الأهداف الإنسانية السامية التي تتحرك في إطارها لخدمة قضايا الأمن والسلم، والعمل على إرساء قواعد التفاهم، والتعايش، والحوار بين الشعوب [٣].

ومن هنا يتضح لنا أن الدبلوماسية الإسلامية ومنذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام تقوم على القيم الدينية والأخلاقية والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولأهمية عقد الاتفاقيات والمعاهدات نجد أن كثيرا من الدول والشعوب لجأت إلى التفاهم مع بعضها، وتهدئة الوضع فيما بينها، وإنهاء خلافاتها، وذلك عقدت مع بعضها معاهدات، وكانت الدول الإسلامية عبر الزمن تسعى لعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع أعدائها والدولة المحيطة بها.

ومن الأسباب التي دفعت الدول الإسلامية من عقد تلك الاتفاقيات والمعاهدات ما يلي[٤]:

١-أضفاء حسن النوايا والثقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول والشعوب.

٢-التهدئة وتخفيف حدة التوتر بين الدولة الإسلامية والدول والشعوب الأخرى.

٣-تصفية الأجواء وتهيئة مناخ يسمح بتحقيق المصالح المشتركة للدولتين تنفيذا لبنود المعاهدات.

٤-إحلال السلام والأمن محل الحرب والقلق والخوف، والود والصفاء بدلا الكراهية.

٥-نشر الدين الإسلامي في الدول غير الإسلامية بطريقة سلمية وحضارية.

٦-تمكن الدولة الإسلامية من إعادة ترتيب وضعها السياسي والعسكري والتفرغ لإنهاء الخلافات والمشاكل الداخلية.

وهناك أمر يجب مراعاتها عند تطبيق المعاهدات والاتفاقيات:

١- الالتزام بالعهد:

المعاهدات في الإسلام ملزمة ولا يترك أمرها للأهواء، فالالتزام بالمعاهدات من مستلزمات الدين الإسلامي، بل أعدها الإسلام من الامانات التي يجب ألا يخونها المسلم(٥).

٢- رعاية حقوق المعاهدين:

من أهم حقوق المعاهدين، حرية الدين، والدفاع عنهم، وإباحة أكل طعامهم، والاحسان والبر بهم، وضمان مشاركتهم في القضايا المجتمعية والتي لا تتعرض مع مبادئ الشريعة الإسلامية(٦).

٣- ضمانات الالتزام بالمعاهدات:

اعتمد المسلمون وأعداؤهم في اخذ ضمانات لتنفيذ المعاهدات على عاملين رئيسين لضمان تطبيق المعاهدات والاتفاقيات، وهما(٧):

أ- الوازع الديني: أن الالتزام بالمعاهدات بها واجب ديني وأخلاقي في العقيدة الإسلامية عند المسلمين يجب مراعاته.

ب- الرهائن: يجب على الطرفين تبادل الرهائن لضمان شروط المعاهدات، وإعادتهم إذا تم الالتزام بشروط لمعاهدة.

كما تنتهي المعاهدة ويتوقف تنفيذ بنودها، ويفقد الطرفان الامتيازات التي حصلوا عليها في بلاد كل منهما، وتعود حالة الصراع إلى سابق عهدها، في الحالات التالية(٨):

١- انتهاء المعاهدة بانقضاء المدة المتفق عليها:

إذا انتهت المدة المتفق عليها تصبح المعاهدة أو الهدنة منتهية، ولا ينبغي للمسلمين أن يغيروا على المعاهدين ما دام الصلح باقيا، وتكون المعاملة بالمثل.

٢- إلغاء المعاهدة إذا رغب أي من الطرفين في أنهاءها:

إذا اختلف الطرفان على أي قضية، أو فشلت المفاوضات تعود الحالة السياسية بين الدولتين إلى ماكانت عليه قبل توقيع المعاهدة.

٣- انتهاء المعاهدة بنقضها من الطرف الآخر:

وذلك حال قيام الدولة المتصالح معها بأعمال عدائية، تُتعبر نقضاً للمعاهدة، لأنها مخالفة لم يتم الاتفاق عليه.

وقد كانت المعاهدات والاتفاقيات بين الصليبيين والمماليك تشمل المناطق الحدودية، والفترة الزمنية والممتلكات الخاصة، وأملاك المناصفات وبناء الحصون والجسور والقلاع والمياه والمزارع والضرائب، وتأمين الملاحة وحرية تنقل الافراد، والتصدي للقرصنة البحرية وحرية التجارة وتأمينها براً وبحراً، والتصدي للهجمات الخارجية، وحرية العبادة، والتعاون للقضاء على الجريمة(٩).

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون تم عقد عدة معاهدات واتفاقيات سياسية وعسكرية واقتصادية مع أمراء وملوك الصليبيين، حيث اتسمت العلاقات بين المسلمين والصليبيين في عهده بالعداء، إلا أنه في بعض الأحيان كانت علاقات ودية حسب

المصالح السياسية بين الطرفين، وقد تضمنت بعض هذه المعاهدات ألا يعترض الصليبيون السفن المصرية القادمة إلى موانيهم وإعطاء الأمان لجميع رعايا السلطان حين يقدمون إلى الأملاك الصليبية(١٠).

وقد تعهد لهم السلطان المنصور قلاوون على ضمان وجودهم في الشرق شريطة عدم تحالفهم مع أعداء المسلمين من المغول، وقد كان الصليبيون في بلاد الشام في حالة سيئة نتيجة للصراعات الداخلية التي نشبت بينهم مما دفعهم ذلك إلى قبول العرض الذي قدمه السلطان المنصور قلاوون وهو دخولهم في السلم(١١).

كما عمل السلطان قلاوون مع بداية حكمة على تجديد المعاهدات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية والعسكرية مع عدد من الإمارات الصليبية والممالك الأوربية وقد كانت هذه الممالك حريصة على إقامة علاقات اقتصادية مع المماليك التي كانت تسيطر على المنافذ البحرية التجارية على البحر الأحمر وسواحل المتوسط، كما كانت ترغب تلك الممالك أن تحقق آمال شعوبها بزيارة الأماكن المقدسة بكل يسر وسهولة(١٢).

وكانت اوروبا دائماً هي البادئة في عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع دولة المماليك مما يدل على تمتع المماليك بمركز القوة بين العالم في تلك الفترة، وقد كان السلطان المنصور قلاوون مجبراً لإبرام مثل هذه الاتفاقيات والمعاهدات، لأنه كان واقع تحت خطر الهجمات المغولية على بلاد الشام، واحتمالية استغلال الصليبيين انشغاله في قمع الحركات الداخلية المناهضة له، والقيام بعمليات عسكرية على المدن الإسلامية(١٣)، فأراد السلطان المنصور قلاوون التمويه على الصليبيين بتوقيع مثل تلك المعاهدات ذات الأمد الطويل، يستغل وقتها في الإعداد لمواجهتهم في حالة نقضهم لبنود الهدنة(١٤).

ومن أهم المعاهدات التي تم عقدها بين السلطان المنصور قلاوون وملوك أوروبا وأمراء الصليبيين مايلي:

١- الهدنة مع الاسبتارية(١٥) ٦٨٠هـ/١٢٨١م:

كانت السنوات الطويلة التي مكثها السلطان المنصور قلاوون مع السلطان الظاهر بيبرس ذات فائدة عظيمة وقد تجلت منذ الأيام الأولى لحكمه في تجديد التحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية مع عدد من المدن والدولة الأوروبية، التي لم تكن مهتمة كثيراً بتوجيهات الكنسية بتحريم التجارة مع المسلمين، وبدورها كانت الدول الأوروبية حريصة على إقامة علاقات اقتصادية قوية مع دولة المماليك التي كانت تسيطر بشكل أو بآخر على ساحل البحر الأحمر، ومساحة كبير من سواحل المتوسط، كما كانت تلك الدول ترغب في تحقيق أمنيات شعوبها في زيارة الأماكن المقدسة بكل يسر وسهولة، وهو الهدف الذي لم تستطع أوروبا من تحقيقه رغم الحملات المتكررة على الشرق(١٦).

وفي عام ١٢٧٧م/٦٧٥ه استغل المغول والصليبيين وضع بلاد الشام بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس، فشن المغول هجوم على بلاد الشام وسيطروا على مدينة حلب في رجب سنة ٧٦٩ه، بينما شن اسبتارية حصن المرقب هجوماً على المنطقة حول صافيتا(١٧)، كما قاموا باعمال تخريبية طول الطريق إلى حمص، وذلك في محاولة لإعادة الإستيلاء على حصن الأكراد من المماليك، واستطاع قسطلان(١٨) المرقب تحقيق انتصاراً على نائب السلطنة بحصن الأكراد، وعاد إلى المرقب محملاً بالغنائم(١٩).

وقد ذكر بيبرس المنصوري موقف الاسبتارية بقوله: " كان الفرنج الذين بحصن المرقب لما بلغهم هجوم التتار على البلاد وانجفال العسكر من حلب طمعوا واعتمدوا الفساد وتطرقوا إلى أذية المسلمين بأطراف تلك البلاد"(٢٠).

وللانتقام من اسبتارية المرقب نظراً لأعمالهم التخريبية والعدوانية ضد الأراضي الإسلامية، أرسل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، نائب السلطنة بحصن الأكراد ومن معه يستأذن السلطان المنصور قلاوون في الهجوم على فرسان يوحنا لقرب المرقب إليهم والقضاء عليهم، وهوّن على السلطان أمر من به من الخيالة وذكر له قلة من فيه من الرجالة، فأذن له في ذلك، فسار في رجب سنة ٦٧٩ه ومعه الجيش من عسكر حصن الاكراد، ويقدر المؤرخون العرب ذلك الجمع بثمانمائة فارس وثمانمائة من الخيالة التركمان وألفي راجل، واستصحب المجانيق والآلات، وتقدّم إلى أن بلغوا حصن المرقب، وهو حصن عالي المرام، لا يصله من أسفله السهام، وأخفي أهله أمرهم ولم يتحركوا في مبدأ الحال، فازداد العسكر فيهم طعما وإليهم تقدّما، فلما صاروا بحيث تبلغ إليهم السهام أرسلوا عليهم الجروخ فنالت منهم النصال، وأنكت فيهم النبال، فاضطرب من كان معه من الجنود، وتململ من كان صحبه من الحشود، فلما رأى اضطرابهم استشار بعض من عنده من الأمراء في التأخّر شيئا يسيرا بحيث يمتنع وصول النشاب إليهم، ثم تأخر راجعا وثنى عنانة للرجعة مسارعا، والناس لا يعملون أن ذلك التأخر برأي وتدبير، فظنوها الهزيمة، فولوا الأدبار وأسرعوا الفرار، ورأى الفرنج ما كان، ففتحوا أبواب الحصن وجاءوا من كل مكان، وتبادر الرجالة، وتبعهم الفرسان، ونالوا من المسلمين، وجرحوا منهم جماعة، ونهبو ما أمكنهم، وأسروا من الرجالة جماعة[٢١].

ورغم ما حققه اسبتارية المرقب من انتصار على الجيش المملوكي، إلا أن مقدم الجماعة كان خائفاً من ردة فعل السلطان المنصور قلاوون الانتقامية، فأسرع يتودد إلى ملك أنجلترا إدوارد الأول يطلب منه المساعدة وإنقاذ الصليبيين في بلاد الشام من هجمات المماليك، ولم يتعد موقف إدوارد الاول من هذه المطالبات إلا بووعود حماية أملاك الاسبتارية في انكلترا، لذلك بعث إلى السلطان المنصور قلاوون وهو في معسكره "بالروحاء"[٢٢] يسأله تجديد الهدنة والتي عقدها معهم الظاهر بيبرس، وكان السلطان المنصور قلاوون مدركاً حاجته إلى تقوية جبهته وفصل الصليبيين في بلاد الشام عن المغول في العراق وفارس، وبين أخذ ورد تقررت الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وولده علاء الدين علي من جهة وملك طرابلس وقادة الاسبتارية في عكا من جهة ثانية لمدة عشر سنوات وقد أشتملت على بنود أقتصادية وتجارية وبنود سياسية وعسكرية وأمنية، ومن أهم الأسباب التي دفعت السلطان قلاوون لقبول هذه المعاهدة هو خشيته من تحالف صليبي مغولي عليه، في ظل أن الاوضاع لم تستقر بعد في سلطنته[٢٣].

يتضح مما سبق أن اهتمام الأوروبيين بالقضية الصليبية أخذ مظهر شكليا، فاصبحوا يائسين وغير مبالين بما يجري للصليبيين من فشل سياسي وعسكري في بلاد الشام.

وكان نص المعاهدة كالآتي: وفي سنة ٦٨٠ه/١٢٨١م تقررت الهدنة بين السلطان وولده معاً، وبين مقدم الاسبتار وجميع الأخوة الإسبتارية، لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثمانين وستمائة، الموافق للثالث من شهر أيار، سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلهس اليوناني ، وذلك على جميع بلاد السلطان، وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع ، والمدن والبلاد والقرى، والمزارع والأراضي، والموانئ والبحور، والثغور، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة، وعلى التجار المسافرين في البر والبحر، والسهل والجبل ، في الليل والنهار ، وعلى قلعة المرقب ، والربض المرقبي بحقوقه وحدوده... [٢٤]، وقد حلف لهم السلطان المنصور قلاوون على ذلك، وسير الأمير

فخر الدين أياز المقري[٢٥] لتحليف مقدم الاسبتارية، فحلف على ما تم الاتفاق عليه[٢٦].

ومن بنود هذه المعاهدة[٢٧].

١-أن لا يجدد البرنس[٢٨] زعيم الاسبتارية ولا أصحابه بناء قلعة خارج ما وقعت الهدنة عليه، وكذلك لا يجدد السلطان المنصور قلاوون بناء قلعة في بلاده.

٢-أن لا تنقض الهدنة بموت إحدى الطرفين أو عزله.

٣-أن لا يشارك زعيم الاسبتارية في مشورة تسبب سوء للسلطان وبلاده.

٤-أن لا يُسمح لأحد من أعداء السلطان المنصور قلاوون الاعتداء عليه بمراسلة أو مشافهة.

٥-أذا دخل المغول أو الفرنجة بلاد السلطان المنصور قلاوون يساعد زعيم الاسبتارية في ردهم.

ويلاحظ في بنود المعاهدة مدى المرونة التي تميز بها السلطان المنصور قلاوون في تفاوضه مع الصليبيين، بموافقته على بعض طلباتهم، حتى يبقي الوضع على ما هو عليه، لكي يأمن جانبهم، إلى أن يتمكن من التخلص من خطر الهجمات المغولية على بلاد الشام في بداية حكمه، والتفرغ للقضاء على ثورة سنقر الأشقر الذي أحدث انشقاقاً في الدولة المملوكية.

وكان من نتائج هذه الهدنة: أن الصليبيين رفضوا المشاركة في مؤامرة دبرها أحد قادة المماليك يسمى كوندك[٢٩] في نفس العام الذي عقدت فيه الهدنة، حيث طلب من الصليبيين عدم عقد هدنة مع السلطان المنصور قلاوون لأنه سوف يقوم بإعداد خطة لقتله، لكن الصليبيين أخبروا السلطان المنصور قلاوون بذلك، فأخذ الحيطة لنفسه، وأستطاع إحباط تلك المؤامرة وأعدم زُعماءها، ورأى بعض المؤرخين أن من الأسباب التي دفعت كوندك ومن معه من الأمراء الظاهرية وبعض المغول لاغتيال السلطان المنصور قلاوون هو إقدامه على عقد هدنة مع الصليبيين، وهذه حجج غير واقعية واتهامات باطلة ومعلومات مضللة الهدف منها الاساءة إلى السلطان المنصور قلاوون[٣٠].

٢- الهدنة مع طرابلس ٦٨٠هـ / ١٢٨١م

كان السلطان الظاهر بيبرس قد أبرم معاهدة مع حاكم طرابلس وبوهيموند السادس Bohemond VI (١٢٥١- ١٢٧٥م/ ٦٨٤- ٦٧٣ه)[٣١] وكانت مدة الهدنة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ومن بنودها أن تكون عرقة وجبيل وأعمالهما لبوهيموند، وأن تؤول نصف غلات طرطوس والمرقب للسلطان الظاهر بيبرس والنصف الأخر للداوية والاسبتارية، أن تؤول حمص إلى السلطان بعد تنازل الاسبتارية عنها، أن تكون أعمال عرقة صدقة من الملك الظاهر بيبرس على بوهيموند، والسبب الذي دفع السلطان الظاهر بيبرس على مهادنة الامير بوهيمند كان سماعة بوصول حملة صليبية بقيادة ملك أنكلترا الأمير إدوارد إلى عكا لمهاجمة المسلمين في بلاد الشام[٣٢]، وقال المرقريزي: " وفي رابع شوال ركب السلطان بجميع عساكره يريدي طرابلس، وساق إليهما فبينما هو عازم على ذلك، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكتار إدوارد الذي يكون ملكاً لإنجلترا فيما بعد وصل إلى عكا في أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثماني شواني ومراكب تكملة ثلاثين مركباً"[٣٣]، إلا أن السلطان الظاهر بيبرس توفي قبل إنقضاء مدة الهدنة[٣٤].

وعندما تولى المنصور قلاوون السلطنة عام (٦٧٨-٦٨٩هـ)، قدم إليه وفد طرابلس من جهة حاكمها الأمير بوهيموند السابع Bohemond VII [٣٥]، يطلبون تمديد الهدنة التي عقدها معهم الظاهر بيبرس، وقد وافق السلطان المنصور قلاوون على ذلك[٣٦].

وتقررت الهدنة لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضها بعضاً أولها ٢٧ ربيع أول سنة ٦٨٠ه / ١٦يوليو ١٢٨١م، وذلك على بلاد السلطان المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح قريبها وبعيدها سهلها وجبلها، غورها ونجدها ، قديمها ومستجدها ، وما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها، من المملكة البعلبكية، وجبالها وقراها الدخيلة والجبلية، ، وجبال الضنيين والقصبين ، وما هو من حقوق ذلك ، وعلى الفتوحات المستجدة : وهي حصن الأكراد وافليس والقليعات وصافيتا، وميعار، واطليعا، وحصن عكار ومرقية، ومدينتها وبلادها ، ومناصفاتها ، وهي بلاد اللكمة، وجميع بلاد هذه الجهات التي ذكرناها ، ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى ، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها، وقرقص وبلادها، وجبلة ولاذقية وأنطاكية والسويدية وبلاد ذلك، وحصن بغراس، وحصن ديركوش وصهيون وبرزية، وحصون الدعوة، وغير ذلك من سائر الممالك الإسلامية... [٣٧].

ومن بنود معاهدة طرابلس[٣٨]:

١-أن يستقر نواب السلطان المنصور قلاوون وأمير طرابلس بمدينة اللاذقية للإشراف على استخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها مناصفة.

٢-أن يكون على جسر أرتوسية، من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلات ستة عشر نفراً ويكون لهم في الجسر بيوت يسكنونها، ولا يحصل منهم أذية لرعية أمير طرابلس، وإنما يمنعون ما يجب منعه من الممنوعات، ولا يمنعون ما يكون من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها، لا يعارضهم المشد فيه، وما عدا ذلك مما يعبر من بلاد السلطان المنصور قلاوون، يؤخذ عليه الحقوق.

٣-ولا يدخل إلى طرابلس بضائع محمية للأمير ولا أصحابه، إلا ويؤخذ الموجب عليها.

٤- وعلى أن لا يسمح لأمير طرابلس بناء قلعة أو غيرها خارج مدينته ولا في البلاد التي وقعت الهدنة عليها.

٥- وكذلك يمنع السلطان المنصور قلاوون من بناء قلعة في البلاد التي وقعت الهدنة عليها.

٦- وعلى الشواني من الجهتين أن تكون آمنة ولا تتعرض بأذية كل طائفة من الأخرى.

٧-وأن لا يُساعد أحد من أعداء السلطان المنصور قلاوون، ولا يتفق عليه، برمز ولا خط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة.

٨-ولا تنقض المعاهدة بموت أحدهما، ولا بتغييره، وتقررت الحال على ذلك وعادت رسل كل جهة إليها.

٣- الهدنة مع الإمبراطورية البيزنطية:

لم تنقطع علاقة الود والصداقة بين الإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور ميخائيل الثامن Michae VIII (٦٥٧- ٦٨١هـ/١٢٥٩-١٢٨٢م) و المماليك في عهد السلطان المنصور قلاوون الذي كان حريصاً على تعزيز العلاقات بين الدولتين، فعندما جلس السلطان المنصور قلاوون على عرش سلطنة المماليك، أرسل سفارة إلى الإمبراطور ميخائيل الثامن ليخبره بتوليه الحكم، ويبدي رغبته في الإبقاء على علاقة الصداقة والمودة مع الإمبراطور، ورد عليه الإمبراطور ميخائيل الثامن برسالة أعرب فيها عن حرصه في استمرار الود والصداقة بين الدولتين(٣٩).

وفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، تم عقد تحالف سياسي عسكري الإمبراطورية البيزنطية والسلطان المنصور قلاوون، وأهم ما جاء في ذلك التحالف(٤٠):

١-أن تحفظ الدولة البيزنطية للسلطان العظيم المنصور قلاوون ملك الديار المصرية وبلاد الشام ولولده صادق الود والمحبة.

٢- أن لا تشن الدولة البيزنطية على بلاد السلطان المنصور قلاوون ولا على قلاعه ولا على عساكره حربا.

٣- أن يحفظ السلطان العظيم المنصور قلاوون ملك الديار المصرية للدولة البيزنطية صادق الود والمحبة.

٤-وأن لا يشن السلطان المنصور قلاوون حربا على ميخائيل الثامن ولا على بلاده ولا قلاعه ولا عساكره.

٥-وأن تكون الرسل المترددون على السلطان المنصور قلاوون آمنين لهم أن يعبروا في بلاد ميخائيل الثامن بلا مانع ولا عائق ويتوجهوا إلى حيث يسيرون من عز سلطانه وكذلك يعودون إلى عز سلطانه.

٦- وأن لا يحصل للتجار الواردين من بلاد السلطان المنصور قلاوون ضرر ولا أذية من بلاد ميخائيل الثامن ولا يحذرون من أحد جورا ولا ظلما.

٧-ويؤدي التجار القادمون إلى بلاد السلطان المنصور قلاوون من أهل بلاد ميخائيل الثامن الحق الواجب على بضائعهم.

٨- كذلك يؤدي التجار القادمون من بلاد السلطان المنصور قلاوون إلى ميخائيل الثامن الحق الواجب على بضائعهم.

٩- وإن حضر من بلاد القفجاق تجار وأرادوا السفر إلى بلاد السلطان المنصور قلاوون فلا يتعرض لهم أحد في بلاد ميخائيل الثامن بسوء.

ونظراً لأهمية التحالف بين المماليك والدولة البيزنطية سوف نذكر بعض المختارات من اليمين التي حلفها ميخائيل الثامن للسلطان المنصور قلاوون:

" فمملكتي من هذا اليوم وهو يوم الخميس الثامن من شهر أيار من التاريخ الرومي التابع لسنة ستة آلاف وسبعمائة وتسع وثمانين لآدم تحلف بأناجيل الله المقدسة والصليب المكرم المحيى أن مملكتي تكون حافظة للسلطان العظيم النسيب العالي العزيز الكبير الجنس سيف الدين قلاوون صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب ولولده ولوارث ملك عز سلطانه محبة مستقيمة وصداقة كاملة ولا يحرك ملكي أبدا على عز سلطانه حربا ولا على بلاده ولا على قلاعها ولا على عساكره ولا يتحرك ملكي أبدا على حربه بحيث إن

هذا السلطان العظيم النسيب العالي العزيز الكبير الجنس الملك المنصور سيف الدين قلاوون صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب يحفظ مثل ذلك لمملكتي ولولد مملكتي الحبيب الكمينوس الانجالوس الدوقس البالاولوغس الملك ايرلنك ولا يحرك عز سلطانه على مملكتنا حربا قط ولا على بلادنا ولا على قلاعنا ولا على عساكرنا ولا يحرك أحدا آخر أيضا على حرب مملكتنا وأن تكون الرسل المترددون عن عز سلطانه أيضا مطلقا آمنين لهم أن يعبروا في بلاد مملكتي بلا مانع ولا عائق ويتوجهوا إلى حيث يسيرون من عز سلطانه وكذلك يعودون إلى عز سلطانه وأن لا يحصل للتجار الواردين من بلاد عز سلطانه ضرر من بلاد مملكتي ولا يحذرون من أحد جورا ولا ظلما بل يكون لهم مباحا أن يعملوا متاجرهم ونظير هذا التجار الواردون إلى بلاد عز سلطانه من أهل بلاد ملكي يقومون بالحق الواجب على بضائعهم وليقم كذلك التجار الواردون من بلاد عز سلطانه إلى بلاد ملكي بالحق الواجب على بضائعهم... (٤١).

أيضاً نذكر صورة اليمين التي كتبها السلطان المنصور قلاوون الذي حلف عليه للإمبراطور ميخائيل الثامن أقول وأنا فلان :" إنه لما رغب حضرة الملك الجليل، ميخائيل، أكبر ملوك المسيحية، أبقاه الله– أن يكون بين مملكته وبين عز سلطاني، محبة وصداقة ومودة لا تتغير بتغير الأيام، ولا تزول بزوال السنين والأعوام، لتدوم المحبة فيما بين مملكته وعز سلطاني، وتكون ثابتة ومستمرة على الدوام والاستمرار، وعلى استمرار الصداقة، واستقرار المودة النقية، للملك الجليل ميخائيل، ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى، ولولد مملكته ولوارثي مملكة ملكه، ولا يحرك عز سلطاني أبدا على مملكته حربا ولا على بلاده ولا على قلاعه ولا على عساكره في بر ولا بحر ولا يحرك عز سلطاني أحدا آخر على حربه بحيث إن الملك الجليل كرميخائيل يحفظ مثل ذلك لعز سلطاني ولملكي ولبلادي ولقلاعي ولعساكري ولولدي السلطان الملك الصالح علاء الدين علي ولوارثي ملكي من أولادي ويستمر على هذه الصداقة والمودة النقية ولا يحرك ملكه على عز سلطاني حربا قط ولا على بلادي ولا على قلاعي ولا على عساكري ولا على مملكتي ولا يحرك أحدا آخر على حرب مملكة عز سلطاني في البر ولا في البحر ولا يساعد أحدا من أضداد عز سلطاني ولا أعدائي من سائر الأديان والأجناس ولا يوافقه على ذلك ولا يفسح لهم في العبور إلى مملكة عز سلطاني لمضرة شيء، وأن لا يحصل للتجار الواردين من مملكة الملك الجليل كرميخائيل إلى بلاد عز سلطاني جور ولا ظلم ويترددون آمنين مطمئنين يعملون متاجرهم ولهم الرعاية في الصدور والورود والمقام والسفر بحيث يكون لتجار مملكة عز سلطاني في بلاد مملكة الملك الجليل كرميخائيل مثل ذلك ويكونون مرعيين لا يجدون من أحد في بلاد مملكة الملك الجليل كرميخائيل جورا ولا ظلما.. "(٤٢).

١- الهدنة مع الداوية(٤٣). في طرسوس:

تعتبر مدينة طرسوس القديمة ميناءً بحرياً منذ العصر الفينيقي ٢٠٠٠ ق.م، وكانت تحتل موقعين واحد في البر حيث يمارسون نشاطهم التجاري والزراعي، ويطل الموقع الآخر على جزر مجاورة يلجأؤون إليها عند إحساسهم بأن أمنهم في خطر(٤٤).

وقد كانت طرسوس تحت سيطرة الآشوريين من بداية الألف الأول ق.م، ثم أستطاع الكلدانيين إخضاعها منذ العام ٦٠٤ ق.م، ثم للفرس الأخمينيين منذ العام ٥٣٨ ق.م، وفي عام ٣٣٣ ق.م تمكن الاسكندر المقدوني من السيطرة عليها، وفي عهد الخليفة عمر ابن الخطاب تمكن المسلمون من فتح مدين طرسوس بقيادة عبادة بن الصامت الأنصاري،

واستقرت فيها قبائل عربية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان تم إعادة بناؤها وحصنت بشكل جيد، وقد عرفت المدينة في بداية الفترة الإسلامية باسم (أنطرطوسا) (٤٥).

وفي عام ١٠٩٧م استولى عليها الصليبيون بعد اشتباكات كبيرة مع السلجوقيين، ومرت طرسوس خلال هذه المرحلة في حالة التجاذب المستمر بين المسلمين والصليبيين، أحياناً يحررها المسلمين، وأحياناً يحتلها الصليبيون، وقد شهدت مدينة طرسوس في الفترة الصليبية أزدهار اقتصادي وتجاري وصناعي، ولطالما كانت طرسوس مقصداً للحجاج المسيحيين من كل بقاع العالم، وكانت من أكبر وأهم قلاع الصليبيين على ساحل البحر المتوسط(٤٦).

وفي عام ٥٤٧ه/١١٥٢م ، تمكن نور الدين محمود زنكي من تحريرها لفترة قصيرة، وبعد ذلك استولى عليها الملك بلدوين الثالث، ومنحها للداوية فرسان الهيكل من عام٥٤٧ه/١١٥٢م إلى عام ١١٥٨م، حيث أعادوا تحصينها. وعام ٥٥٢ه/١١٥٨م حاصرها صلاح الدين الأيوبي لكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها، نظراً لإرتفاع السور الهائل ووجود خندق مائي حولها(٤٧).

وفي فترة لاحقة من عام ٥٨٣ه/١١٨٨م تمكن السلطان صلاح الدين من الاستيلاء على برجها الرئيسي الحصين بعدما فرت الحامية المدافعة من المدينة عبر سرداب سري يؤدي مباشرة إلى البحر، ودخلها صلاح الدين بعد خروج الصليبيين منها(٤٨).

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس طلب كمندور(٤٩) صاحب طرسوس الصلح، وذلك فزعاً من انتصار الظاهر بيبرس على الاسبتار والإستيلاء على حصن الأكراد، وجرت مفاوضات طويلة بين الطرفين، توصلوا إلى اتفاق حول بعض النقاط منها استرجع اخذه الصليبيون في أيام الناصر صلاح الدين الأيوبي(٥٠)، وترك جميع مالهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام(٥١).

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون عقد المماليك معاهدة سلام مع الداوية في طرسوس، وقد ذكر ابن عبد الظاهر نص الهدنة " استقرت الهدنة بين مولانا السلطان المنصور بن قلاوون الملكي الصالحي وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين علي وابن المقدم: فريركليام ديباجوك مقدم بيت الداوية بالساحل وعكا وجميع الأخوة الداوية في طرسوس لمدة ١٠ سنين و١٠ شهور، أولها الأربعاء ٥ محرم ٦٨١هـ – ١٥ نيسان ١٥٩٣م للإسكندر، على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده الملك الصالح علاء الدين علي، وعلى كل ما هو داخل مملكتهما من الديار المصرية وأعمالها وثغورها وموانيها والبلاد الشامية وثغورها وحصونها وقلاعها وسواحلها وموانيها، والمملكة الحمصية وبلادها وأعمالها وقلاعها، والمملكة الحموية وبلادها وأعمالها، والمملكة الحلبية وبلادها وأعمالها، وبلاد حصن الأكراد، وكل ما سيفتحه الله على يد مولانا السلطان الملك المنصور ويد ولده السلطان الملك الصالح، وعلى يد مقدمي جيوشه وعساكره من حصون ومدن وقلاع وقرى... "(٥٢).

ومن بنود الهدنة(٥٣):

١-لا يتعدى أحد من طرسوس وبلادها إلى بلاد السلطان المنصور قلاوون وبلاد والده السلطان الملك الصالح ولا إلى قلاعهما وحصونهما مما عُين في الهدنة وما لم يتعين.

٢- أن تكون طرسوس وبلادها المعنية في الهدنة ومن بها الإخوة الفرسان والرعايا القاطنين والمترددين آمنين مطمئنين من مولانا السلطان الملك المنصور، ومن ولده ومن عساكرهما، ومن هو داخل في حكمهما.

٣-ولا يتعدى أحد من بلاد السلطان المنصور قلاوون إلى طرسوس وبلادها بغارة أو مكروه حتى انقضاء الهدنة.

٤-إذا انكسر مركب من بلاد السلطان المنصور قلاوون أو من المترددين عليها وغيرها من سائر بلاد البلاد والأجناس والناس، في ميناء انطرسوس وسواحلها الداخلة في هذه الهدنة يكون كل من فيها آمنين على نفوسهم وأموالهم وبضائعهم، فإن وجد صاحب المركب الذي انكسر يسلم إليه مركبه وماله، وإن مات أو غرق تسلم ممتلكاته، لنواب السلطان المنصور قلاوون، ويكون هذا الحكم سائر لما يتكسر من مراكب أنطرسوس في بلاد السلطان المنصور قلاوون.

٥-ولا يتجدد حصن ولا برج ولا قلعة في بلاد طرسوس.

٥- الهدنة مع عكا وصيدا[٥٤] عتليت[٥٥] ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م :

كان السلطان المنصور قلاوون منذُ أن جلس على عرش السلطنة حريصاً على مهادنة الصليبيين وكان الهدف من وراء ذلك كسب الوقت لمواجهة الاخطار الخارجية الأخرى كالمغول الذين كثرت غاراتهم على بلاد الشام، لكي يتسنى له التفرغ لتوجيه ضربات قاصمة لهم، ومن ثم التوجه لإنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام، ويلاحظ أن الهدنة التي عقدها السلطان المنصور قلاوون مع اسبتارية عكا والتي ذكرناها سابقاً، لم تشمل بقية قوى الصليبيين ومؤسساتهم في عكا[٥٦].

لذلك عقدت هدنة في يوم الخميس الخامس من ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ الموافق / الثالث من حزيران سنة ١٢٨٣م بين السلطان المنصور قلاوون وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين وحكام مملكة عكا وصيداعتليت وهم : السنجال[٥٧]: أود بو لوشيان Od Poilechier، المقدم الجليل: فرير نيكول لورين[٥٨]Fr Lorgne Le Nicholas ، المقدم الجليل: فرير كليام ديباجوك[٥٩] مقدم بيت الداوية Frere Guillowme de Badjouk [٦٠]، على أن يكون للسلطان المنصور قلاوون وولده البلاد الآتي ذكرها:

مملكة الديار المصرية، والبلاد الحجازية، وثغر غزة وما معها من الموانئ والبلاد، ومملكة بلاد الجليل، ومملكة القدس الشريف، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها، ومملكة يافا والرملة، وبيت جبريل، ومملكة نابلس وأعمالها، وبيسان والطور، وجنين وعين جالوت، والمملكة الصفدية، والنصف لمملكة عكا، والمملكة الدمشقية، ومملكة حمص، ومملكة حماة، والمملكة الحلبية، وأنطاكية وأعمالها وما دخل في الفتوح المبارك، وبغراس وأعمالها والدربساك وأعمالها، والراوندان وأعمالها، وعينتاب وأعمالها، وحارم وأعمالها، وبيرين وأعمالها، وسيح الحديد وأعماله، وقلعة نجم وأعمالها، وشقيف دركوش وأعماله، والشغر وأعماله، وبكاس وأعماله، والسويداء واعمالها، والباب وبزاعا وأعمالهما، والبيرة وأعمالها، والرحبة وأعمالها، وسلمية وأعمالها، وشميمس وأعمالها، وتدمر وأعمالها وما هو منسوب إليها، وأما القسم الباقي من البلاد، فإما أن يكون قد ترك للفرنج كله، أو تقاسمه الفرنج مع السلطان المنصور قلاوون[٦١].

ومن بنود المعاهدة ما يلي[٦٢] :

١-لا يتعرض الصليبيون الذين يستوطنون عكا وصيدا وعتليت بأي سوء لأراضي السلطان المنصور قلاوون وولده ولا لرعاياهما على اختلاف أجناسهم.

٢-وتكون جميع بلاد عكا وملحقاتها آمنة من السلطان المنصور قلاوون وولده ومن عساكره ورعاياه، ومنح التجار والفلاحين حرية الحركة والتنقل بين بلديهما، وعدم وضع رسوم جديدة عليهم غير متفق عليها.

٣- أن لا يجدد الصليبيون في عكا وصيدا وعتليت قلعة أو برجاً أو حصناً.

٤- وإذا هرب أحد من بلاد السلطان المنصور قلاوون وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعنية في الهدنة، وقصد إعتناق الديانة النصرانية يرد جميع ما معه من الأموال وإذا رفض ذلك يعاد إلى السلطان بجميع ممتلكاته بعد أن يمنح الأمان ويُشفع له عند السلطان.

٥- وإذا رغب أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة الدخول في الإسلام تُعاد إلى عكا جميع ممتلكاته وإذا رفض ذلك يعاد مع كل ما يملك إلى عكا بعد أن يعطى له الأمان.

٦- ويجب على الصليبيين المحافظة على أموال وبضائع المسلمين في حالة حدث عطل في سفنهم، وإذا لم يجدوا أصحاب تلك السفن فإن عليهم تسليم ما وجدوه من أموال وبضائع إلى نواب السلطان المنصور قلاوون في بلاد الشام، وللصليبيين مثل ذلك في بلاد المسلمين.

٧- كما يلزم نائب عكا إخبار السلطان المنصور قلاوون بأي تحركات للفرنجة أو التتار قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة في الهدنة بمدة شهرين.

٨- وعلى السلطان المنصور قلاوون أن يسمح للحجاج النصارى على تنوع أجناسهم بزيارة الكنائس والمحافظة عليهم وعلى أموالهم، وأن يحافظ على بلادهم من جميع الأعداء.

٩-إذا حاول الصليبيون الموجودون في أوروبا القيام بهجمات على بلاد المسلمين من البحر فان على الصليبيين بعكا والبلاد الواقعة في الهدنة أن لا يساعدوهم وأن يخبروا السلطان المنصور قلاوون بخبرهم قبل ان يصلوا إلى بلاد المسلمين بمدة لا تقل عن شهرين، أما في حالة إذا كان العدو من جهة البر، فإن على من يسبق إليه خبر تحركهم إلى بلاد الشام أن يخبر الطرف الثاني(٦٣).

١٠-على الصليبيين الذين تم توقيع المهادنة معهم أن لا يساعدوا لصوص البحر بشيء، وأن لا يسهلوا لهم مهمة بيع البضائع المسروقة، ويجب عليهم القبض على السارق، وكذلك الحال بالنسبة إلى أمراء المسلمين.

١١-من كان من فلاحي البلاد العائدة للسلطان المنصور قلاوون مسلماً كان او نصرانياً العودة إلى ارضه ومن كان من فلاحي الأرض التابعة للصليبيين أن يعود إلى ارضه مسلماً كان او نصرانياً، ومن لم يرجع بعد هذا الاعلان يطرد من الجهتين بحيث لا يبقى فلاحو بلاد المسلمين في البلاد الصليبية ولا فلاحو البلاد الصليبية في البلاد الإسلامية، ويكون عودتهم من جهة إلى جهة اخرى بأمان.

١٢-وإذا وجد مع أحد من تجار المسلمين في عكا والبلاد التابعة للصليبيين شيء من الممنوعات مثل السلاح بجميع أنواعه بتم القبض عليه وإعادة ما معه إلى الشخص الذي اشتراه منه ويعاد إلى قيمته ولا تصادر أمواله ولا يؤذى بشيء، ويعامل التجار الصليبيون بمثل ذلك في البلاد الإسلامية

١٣-كل طرف مسؤول عن الشروط السابقة شرطا شرطا وفصلا فصلا، وإذا اخل أحدى الطرفين ببعضها، فقد نقض الهدنة وهو مسؤول عن نقضها ومهلته في ذلك أربعون يوماً من الجهتين.

ويذكر ابن عبد الظاهر نسخة اليمين التي حلف عليها السلطان المنصور قلاوون في هذه الهدنة:

" أقول وأنا فلان: والله والله والله، وبالله وبالله وبالله، وتالله وتالله وتالله، والله العظيم، الطالب، الغالب، الضار، النافع، المدرك المهلك، عالم ما بدا وما خفي، عالم السّر والعلانية، الرحمن الرحيم، وحقّ القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وما يقال فيه من سورة سورة، وآية آية، وحق شهر رمضان، إنّني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرّت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها على عكا عتليت وصيدا وبلادها، التي تضمّنتها هذه الهدنة، التي مدّتها عشر سنين كوامل، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات، أوّلها يوم الخميس خامس ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أوّلها إلى آخرها، وأحفظها والتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجري الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها، ولا أتأول فيها ولا في شيء منها.." (٦٤).

كما ذكر ابن عبدالظاهر نسخة اليمين التي حلفوا عليها الفرنج في هذه الهدنة: "والله والله والله، وبالله وبالله وبالله، وتالله وتالله وتالله، وحق المسيح وحق المسيح، وحق الصليب، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة، وحق الصوت الذي نزل من السماء على نهر الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وحق ديني ومعبودي وما أعتقده من النّصرانية، إنني من وقتي هذا وساعتي هذه، قد أخلصت نيتي، في الوفاء للسلطان الملك المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التي انعقد الصلح عليها، على مملكة عكا وصيدا عتليت وبلادها الداخلة في هذه الهدنة، المسماة فيها، التي مدتها عشر سنين كوامل، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات..." (٦٥).

ويتضح لنا من خلال دراسة بنود المعاهدة وقراءة نسخ حلف اليمين رغبة الطرفيين في السلام وترميم العلاقة بينهم، كما فتحت ميدان جديد لنشر الإسلام والدعوة إليه من خلال احتوائها على بنود تتضمن الأمان لمن يعتنق الإسلام من الصليبيين.

كما يتضح لنا من بنود تلك المعاهدة أهمية الحركة التجارية حيث ورد أكثر من بند في ذلك وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام الطرفين بالتجارة والحياة الاقتصادية، والقضاء على جميع المعوقات التي تقف أمام تطوير الحركة التجارية، وأن هناك رغبة مشتركة من الطرفين في تنظيم وتأمين الخطوط التجارية بين الجهتين.

كما دلت بعض بنود المعاهدة على اهتمام الطرفين في تنظيم عملية بيع السلاح، ومما يدل على ذلك أنه في عام ٦٨٧ه بلغ مسامع السلطان المنصور قلاوون أن الأمير علم الدين سنجر وزير الديار المصرية باع جملة من الرماح والسلاح، الذي كان في الذخائر السلطانية للصليبيين، فاعترف الأمير علم الدين سنجر وقال " نعم أنا بعته بالغبطة(٦٦) الوافرة، والمصلحة الظاهرة، فالغبطة أني أبعتهم من الرماح والسلاح، ما عتق وفسد، وقلّ الانتفاع به، وبعته بأضعاف قيمته والمصلحة، ليعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هواناً بهم، واستحقاراً لأمرهم، وعدم مبالاة بهم فكاد السلطان يصغي إلى ذلك فأجابه النجيب عن ذلك، بأن قال له يا مكثل ، الذي خفي عنك أعظم مما لمحت هذا

الكلام، الذي صورته أنت بخاطرك، وأعددته جواباً . وإنما الفرنج والأعداء لا يحملون بيع السلاح لهم، على ما ظننت أنت وزعمت، وإنما الذي يشيعونه بينهم وينقله الأعداء إلى أمثالهم ، أن يقولوا، قد احتاج صاحب مصر ، حتى باع سلاحه لأعدائه ..." [٦٧]، لذلك أمر السلطان المنصور قلاوون بالقبض على الأمير علم الدين سنجر ومصادرة أمواله.

ومن جهة أخرى تدل عملية بيع الاسلحة إلى أن الصليبيين كانوا فعلاً قد استغلوا فترة انعقاد الهدنة في عملية ترتيب وضعهم وتنظيم صفوفهم وتجميع قواهم وإعداد عدتهم، وأنهم اضطروا إلى شراء الاسلحة من المسلمين لتوقف التموين الأوروبي بسبب النزاعات الداخلية في المدن الأوروبية في ذلك الوقت، أو لأنهم كانوا يخافون أن يفتضح أمرهم امام السلطان المنصور قلاوون بأن الغرب الصليبي يمدهم بالأسلحة فتنقض الهدنة.

٦- الهدنة مع صاحب سيس[٦٨] ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م:

عندما كان السلطان المنصور قلاوون يحاصر حصن المرقب، جاء إليه كبير الداوية في بلاد الأرمن يحمل رسالة شفوية من ليفون بن هيثوم [٦٩]Livon صاحب سيس، ورسالة من مقدم الداوية يطلب فيها العفو عن صاحب سيس الذي كان السلطان يتجاهل رسله، فاستعان بمقدم الداوية الذي كان له حظوة عند السلطان المنصور قلاوون تستوجب إجابة سؤاله وقبول شفاعته ، وبعد عدة مناقشات بين السلطان وكبير الداوية وافق السلطان المنصور قلاوون على توقيع الهدنة في سنة(٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس الموافق ربيع الأول سنة ٦٨٤ه/ السابع حزيران سنة ١٢٨٥م[٧٠]، وكان من أهم بنودها:

١-أن يدفع للسلطان المنصور قلاوون في كل سنة مليون درهم، وتقدم للسلطان هدايا من الجياد والبغال لا تقل عن خمسين رأساً، ومجموعة من الأقمشة وغير ذلك.

٢-وأن يطلق الملك ليفون سراح جميع التجار المسلمون بمختلف طوائفهم وأجناسهم بأموالهم وبضائعهم ومماليكهم وخيلهم وبغالهم، وأطلاق جميع المسلمين المعتقلين في بلاده وقلاعه من سائر الأجناس، ومن قد مات منهم أثناء الاعتقال فيلتزم الملك ليفون بدفع أموالهم إلى السلطان المنصور قلاوون.

٣-وإذا أنكسر مركب لأحد الجانبين بالجهة الأخرى يحتفظ بما يوجد فيه، ويسلم لنواب الجهة التي يكون التاجر المتوفي منها، فإن كان ذلك التاجر من رعية مولانا السلطان المنصور قلاوون فيسلم إليه، وأن كان من رعية الملك ليفون فيسلم إليه وذلك للعمل بموجب العدل والانصاف.

٤-وإذا هرب أحد من بلاد السلطان المنصور قلاوون كائناً من كان، أميراً أو مملوكاً، ودخل إلى بلاد الأرمن يلتزم الملك ليفون بإعادته وبما يوجد معه من غلمان وخيل وبغال وقماش ومال وغير ذلك .

٥-وإن هرب أحد من رعية الملك ليفون وغلمانه يلتزم على السلطان المنصور قلاوون أن يرده إليه، وأن دخل في دين الإسلام يرد المال الذي يوجد معه[٧١].

٦-وإن قُتل أحد من الطرفين يسلم القاتل ليُقتص منه، فإن خفي أمر القتيل تكون المهلة في الكشف عن ذلك أربعين يوماً.

٧-وإن كان في بلاد الأرمن من فلاحي بلاد السلطان المنصور قلاوون على ملك الأرمن إعادتهم إلى البلاد السلطانية، وأن كان في بلاد السلطان المنصور قلاوون أحد من فلاحي بلاد الأرمن يرد إلى بلاده.

٨-تستقر هذه الهدنة بشروطها وقواعدها المحررة إلى انقضاء مدتها لا تنتقض بموت احد من ملوك الطرفين ولا بعزل نائب أو أمير.

كما اشترط صاحب سيس في هذه المعاهدة على أن قلعة الروم وكل من يقيم بها من الرعية والفلاحين يكونون داخلين في هذه الهدنه، على ما كان عليه في عهد السلطان الظاهر، فأطلق السلطان المنصور قلاوون الأرمن وغلمانهم من دمشق والقاهرة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن صاحب سيس كان يرى نفسه مسؤولاً عن جميع الأرمن[٧٢].

ويذكر ابن عبدالظاهر نسخة الهدنة واليمين:

" وأقول وأنا ليفون بن هيثوم والله والله والله، وبالله وبالله وبالله، وتالله وتالله وتالله، وحق المسيح وحق المسيح، وحق الصليب، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة، وحق الصوت الذي نزل من السماء على نهر الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وحق ديني ومعبودي وما أعتقده من النّصرانية، أنني من وقتي هذا وساعتي هذه قد أخلصت نيتي في الطاعة وفي الوفاء لمولانا السلطان الملك المنصور سيف الدينا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية والفراتية وقلاع الروم وبلادها، ولولده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدين والدنيا، وولده الملك الأشرف صلاح الدين والدنيا خليل ناصر أمير المؤمنين، بجميع هذه الهدنة المشروحة تلو هذه اليمين، التي مدتها عشر سنين كوامل متواليات متتابعات وعشر ساعات، وأحفظها إلى آخر مدتها وأعمل بشرطها شرطاً شرطاً، وألتزم الوفاء بها وبما تضمنته، ولا أخالفها بقول ولا فعل..." [٧٣].

الهدنة مع مملكة صور[٧٤] ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م:

كان فيليب مونتفورت Philip of Montfort [٧٥] يحكم صور من سنة (٦٤١ه/١٢٤٣م)، الذي يعتبر رمز من رموز الصليبيين خلال هذه الفترة، وكان الرجل العظيم الذي يستطيع الصليبيون أن يعتمدوا عليه وقت الشدة، وكان يتميز بحنكته السياسية التي مكنته من الدفاع عن إمارته من المشاكل والعواصف التي كانت تهب حينذاك على الصليبيين من جانب المماليك، إذ استطاع الالتزام بالهدنة معهم حتى انتهت مدتها ١٢٦٦م، ولم يقم خلال فترة الهدنة بأي عملية استفزازية للمماليك أو إثارتهم، بل أنه رفض إقامة تحالف مع المغول أثناء هجومهم على بلاد الشام سنة ١٢٥٩م، رغم أنه في تلك الفترة كان هناك العديد من الأمراء الصليبيين متحالفين مع المغول[٧٦].

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس تم تجديد الهدنة مع فيليب مونتفورت، حيث رأى السلطان فيه حاكماً قديراً، وسياسياً محنكاً، فحافظ على الهدنة معه، ولم يهاجم بلاده رغم إرساله الجند للهجوم على بعض القلاع والحصون الصليبية، وعندما انتهت الهدنة، انتظر السلطان الظاهر بيبرس طلب حاكم صور تجديد الهدنة لكنه لم يفعل ذلك، وحدث أن قامت فرقة من حامية صور بالهجوم قلعة إسلامية بالقرب من دمشق، فأرسل السلطان فرقة من العسكر للهجوم على مدينة صور، فغنموا وأسروا كثيراً من اهلها[٧٧].

وبعد وفاة فيليب مونتفورت تولى ابنه يوحنا الحكم، ورغم أنه كان يفتقر إلى ما اشتهر به أبوه من الفطنة والذكاء السياسي، إلى أنه سعى إلى مهادنة المماليك، فأرسل إلى السلطان الظاهر بيبرس وفداً يطلب عقد الصلح معه، فوافق السلطان على طلبهم بشرط أن يكون لحاكم صور عشر قرى فقط من القرى التابعة لصور، ويأخذ السلطان منه خمس قرى يختارها تتبع سلطانه، وباقي القرى التابعة لصور تكون مناصفة بين السلطان وحاكم صور(٧٨).

وبعد موافقة حاكم صور على شروط السلطان الظاهر بيبرس تمت كتابة الهدنة سنة ٦٦٩ه/١٢٧١م، وحلف السلطان على تنفيذها، وحلف حاكم صور على تنفيذها بكافة شروطها(٧٩).

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون وُقعت هذه المعاهدة مع صاحبة صور مرجريت Margaret of Lusignan سنة (٦٨٤هـ ١٢٩٦م) لمدة عشر سنوات متتابعات آخرها سنة (٦٩٤هـ / ١٦٠٥م)، تشمل كل بلاد السلطان وقلاعه ومدنه وحصونه، وما اشتملت عليه الديار المصرية والمملكة الشامية من الثغور والقلاع والحصون والمدن(٨٠).

ومن بنود هذه المعاهدة(٨١):

١-أن يكون للسلطان المنصور قلاوون وولده خمس ضياع من أجود ضياع صور وأكثرها متحصلاً وهي: قانا ومزرعتها القروية، أصريفيا ومزرعتها حانا بكاملها، المجادل بكاملها، كفر دبين بكاملها، ولا يشارك السلطان أحد في هذه القرى.

٢-وأن تأخذ الملكة مرجريت عشراً من ضياع برج صور وهي: عين أبي عبدالله، القاسمية، سدس، قحلب، المرفوف، الجارودية، الجمادية، مرفلة، رأس العين، برج الاسبتار، لا تبني فيها قلعة ولا سور ولا خندقاً.

٣- أن لا تستجد الملكة مرجريت بناء قلعة ولا تجديد سور ولا حفر خندق ولا ما يتحصن به.

٤-وأن لا تتعاون صاحبة صور مع أحد من ملوك الفرنجة على أمر فيه أذية لبلاد السلطان المنصور قلاوون أو ضرر على ممالكه أو رعاياه، ولا تساعد أحداً على ذلك برمز ولا كتابة ولا إشارة ولا رسالة إلى حين انتهاء الهدنة.

٥-وأن لا يسمح السلطان المنصور قلاوون لأحد من عساكره ولا من جنوده من التعدي على أراضي صاحبة صور المذكورة في الهدنة بأذية ولا ضرر ولا سرقة ولا عدوان ولا غدر لافي بر ولا بحر.

٦-ولا يتعرض أحد من جنود السلطان المنصور قلاوون للملكة مرجريت لافي نفسها ولا في أصاحبها.

٧-أن التجار المترددين من الجهتين يبيعون ويشترون آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم وعلى أنهم لا يحدث عليهم شيء غير ما جرت العوائد به بين الجهتين.

٨-وأن المراكب من الجهتين المترددة في البحر تكون كل فرقة آمنة من الفرقة الأخرى مطمئنة في البحر والدخول والخروج، تلتزم كل طائفة من الجهتين وقف الأذية عن الجهة الأخرى.

٩-تحصيل الضرائب على التجارة المتبادلة بين الطرفين، وتعيين موظفين لتلك المهمة وعلى رأسهم المشد وهو موظف يتم تعيينه عن طريق السلطان يساعده مجموعة من الموظفين والامناء يراقبون كل ما يدخل إلى مناطق الصليبيين، ويمنعون ما يجب منه ويسمحون للبضائع الأخرى بالمرور بعد دفع الضرائب المقررة.

١٠- وأن تستقر هذه الهدنة بشروطها وبنودها المحررة، وقواعدها المقررة، لا تُبطل بوفاة أحد طرفيها أو عزله.

وقد ذكر ابن عبدالظاهر نص هذه الهدنه:

" بسم الله الرحمن الرحيم استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين قسم أمير المؤمنين وولده، وولي عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي خليل أمير المؤمنين، وولده الملك الأشرف صلاح الدنيا خليل، وبين الملكة الجليلة مرجريت مالكة صور، ونائبها بمملكة صور لمدة عشر سنين كوامل متواليات أولها يوم الخميس الرابع عشر من جمادي الأول سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية، وآخرها الرابع عشر من جمادى الأول من أربع وتسعين وستمائة، عل حكم ما استقر عليه الحال إلى آخر أيام الملك الظاهر رحمه الله، متتالية الساعات والأيام والشهور والسنين إلى آخرها على جميع البلاد الإسلامية الداخلة في ممالك بلاد مولانا السلطان المنصور سيف الدنيا والدين، قلاوون الصالحي، وبلاده وقلاعه ومدنه وحصونه، وما اشتملت عليه مملكة الديار المصرية وما فيها من الثغور والقلاع والحصون، والثغور الساحلية، وما اشتملت عليه من الحصون، ومن موانى، والبلاد البعلبكية والحمصية والحموية .. والمملكة الحلبية والفتوحات الأنطاكية، وما هو مجاور لصور، وعلى كل ماهو داخل في مملكة مولانا السلطان المنصور سيف الدنيا والدين من ممالك وحصون وقلاع وثغور ومدن وقرى وسواحل ومواني قريبها وبعيدها، سهلها وجبلها، غورها ونجدها، شرقها وغربها، يمنها وحجازها، وما تشتمل عليه من قرى ومزارع وأنهار وطواحين، وأبراج وبساتين، وما حوته هذه الممالك من عساكر وجند وعرب وتركمان وأكراد، وفلاحين وسائر اجناس الناس اجمعين على اختلاف أجناسهم وتغاير أشكالهم وأديانهم، وعلى أموالهم ومواشيهم على تغاير أصوافها وأوبارها، والأموال على تغاير أجناسها.. تستقر هذه الهدنة بشروطها المحررة، وقواعدها المقررة، لاتتنقض أحكامها ولا ينفك نظامها بموت أحد من الجهتين ..." (٨٢).

٨- معاهدة السلطان المنصور قلاوون مع مملكتي أرغون(٨٣) وصقلية(٨٤) (٦٨٩هـ/١٢٨٩م):

في عام(٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) أرسل ملك أرغون ذو فنش(٨٥)، رسله إلى السلطان المنصور قلاوون يطلبون منه تجديد علاقات المودة والصداقة بين البلدين، ولكي يكسبوا رضى السلطان المنصور قلاوون أحضروا معهم سبعين نفراً من الأسرى المسلمين الذين كانوا في بلادهم من أزمنة طويلة، وتعهدوا لسلطان بأن يكونوا له درعاً حصيناً وسيفا باترا ضد أعداءه، كما تكفلوا بأنهم يكونوا أصدقاء أصدقائه، وبذلك تحررت نسخة من الهدنة كتبها الرسل بلغتهم وباللغة العربية، وحلف السلطان المنصور قلاوون وابنه الملك الأشرف خليل على ذلك، وأرسلت النسخة التي بلغتهم إلى صاحب أرغون وأخوه صاحب صقلية ليحلفوا عليها(٨٦).

وقد اشتملت تلك المعاهدة على عدة بنود(٨٧):

١-أن تكون جميع بلاد السلطان المنصور قلاوون وولده الملك الأشرف، والملوك أولاده، من قلاع وحصون، وثغور، وممالك وموانئ، وكل ما هو داخل نطاق حدود بلادهم، آمنة من مخاطر وتهديدات الملك أراغون ومن أخوته ومن أولادهم وفرسانهم.

٢-وأن تكون جميع ممالك ملك أراغون وأخوته وجميع البلاد التي يتم فتحها على يد ملك أراغون من بلاد أعدائه الفرنجة المجاورين لبلاده آمنة من السلطان المنصور قلاوون واولاده وعساكره وجيوشه(٨٨).

٣- وأن يكون ملك أراغون هو وأخوته أصدقاء من يصادق السلطان المنصور قلاوون وأولاده، وأعداء من يُعاديه من سائر الملوك الفرنجية وغيرهم.

٤-وإذا أراد البابا بروما أو ملك من ملوك الفرنجة سواءً كان متوجاً أو غير متوج، كبيراً كان أو صغيراً، أو من الجنويون أو البنادقة، وبيوت الإخوة الداوية، على مختلف أجناس النصارى أذية بلاد السلطان، فيجب على ملك أراغون أن يمنعهم ويحاربهم حيثما كانوا وبكل ما يملك من عدة وسلاح، وأن يخبر السلطان المنصور قلاوون بأية أخطار تتوجه إلى سلطنته، في حالة خرج أحد من معاهدي السلطان من الفرنجة بعكا وصور وبلاد الساحل عن ما تم الاتفاق عليه في الهدنة المبرمة بينهم، وحدث ما يستوجب نقض الهدنة، لا يُساعدهم ملك أراغون أو أحد من أخوته.

٥-وأن يسمح السلطان لكل من أراد زيارة بيت المقدس قادماً من بلاد ملك أراغون وبلاد أخوته، وفي يده كتاب الملك أراغون وختمه، وأن يرجع إلى بلاده آمناً مطمئناً في نفسه وماله، رجلاً كان أو امرأة، بحيث أن ملك أراغون، لا يُطلع أحداً من أعدائه، ولا من أعداء السلطان على أمر الزيارة بشيء(٨٩).

٦-وأن تستمر المعاهدة حتى في حالة وفاة أحد الجانبين، ثم حلف السلطان المنصور قلاوون وولده الملك الأشرف خليل لملك أراغون وأخويه، وأرسلت نسخة الحلف مع الرسل إلى ملك أراغون(٩٠).

ويذكر ابن عبد الظاهر نسخة اليمين التي حلف عليها السلطان المنصور قلاوون في هذه الهدنة:

" أقول وأنا قلاوون بن عبدالله الصالحي: والله، والله، والله، وحق دين الإسلام، وحق القرآن العظيم، الذي يعتقده المسلمون إن هذا الصلح والصداقة، الذي تقرر بيني وبين الملك الريدراغون لا أغيره، ولا أخرج عنه ما دام الملك الريدراغون وافياً باليمين يُحلفه رُسلي بها هو وإخوته، عن نفسي وعن أولادي، وعن أهل بلادي جميعهم، والله على ما قول وكيل"(٩١).

كما ذكر ابن عبدالظاهر نُسخة اليمين التي حلف عليها الملك الريدراغون " أقول وأنا دوفنش: والله، والله، والله، وحق المسيح وحق الصليب، وحق الست مارية، وحق الناجيل الأربعة، وحق ديني ومعبودي واعتقادي: إنني من وقتي هذا، وساعتي هذه، وما مد الله في عمري، قد أخلصت نيتي ولا قيت سريرتي وساويت بين ظاهري وباطني في مصادقة السلطان المنصور سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، ومصادقة ولده السلطان الملك الأشرف خليل، والملوك أولاده، ومودتهم والاستمرار على محبتهم... وأنني والله العظيم أحفظ رعية بلاد المسلمين كلهم في بلادي وأتواصى بهم وأفعل معهم بشروط المهادنة المذكورة .. ومتى خالفت شرطاً منها فأكون محروماً من ديني، مخالفاً لاعتقادي واعتقاد أهل ملتي، واليمين يميني أنا، والله على ما أقول وكيل"(٩٢).

٩- صلح السلطان المنصور قلاوون مع الجنوية[٩٣] (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م):

تُعتبر جنوة من أشهر المراكز التجارية في أوروبا في العصور الوسطى لتميزها بموقع استراتيجي هام، مما جعلها حلقة اتصال بين الشرق والغرب، وقد تطورت العلاقات التجارية والاقتصادية بين الجنويين والمسلمين زمن الحروب الصليبية، نظراً لتأييد الجنويين للحملات الصليبية إلى الشرق وأصبح من السهل تردد تجار جنوة كافة المناطق الغربية والشرقية، وازدهرت تجارتهم مع الشرق الإسلامي، وأصبحت بضائع الشرق ترى في المدن الاوروبية، كما ازدادت البضائع الأوروبية في الأسواق الشرقية، حيث كانت البضائع الشرقية تتدفق على أسواق أوروبا عبر مصر وبلاد الشام[٩٤].

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون قام الجنويون بعدة عمليات قرصنة على الثغور الإسلامية، وأخذوا في أعمال القرصنة البحرية، حيث قاموا بمهاجمة مركب تجاري خرج من الإسكندرية، قتلوا من فيه واستولوا على كثير من بضائع وأموال المسلمين، وأسروا عددا كبيراً منهم، مما جعل الجنويين المقيمين في الإسكندرية يخافون عاقبة الأمر فهربوا منها، وعندما وصل الخبر إلى السلطان المنصور قلاوون اشتاط غضباً، وتوعد الجنوية بالويل والثبور، وعندئذ خشي هؤلاء على مصالحهم التجارية في مصر، وبعثوا إلى السلطان قلاوون يتبرأون من هذا الفعل ويطلبون منه توقيع معاهدة سلام، ثم وقعت الهدنة في القاهرة في جمادى الأولى سنة (٦٨٩هـ / ١٢٨٩م)[٩٥].

وذكر ابن عبدالظاهر نسخة هدنة السلطان المنصور قلاوون مع الجنوية:

ومما جاء فيها: أقول أنا: ألبرت اسبنيولا والمشايخ أصحاب المشورة في كومونة جنوة، أحلف بالله والله العظيم، وحق الصليب والصليب المقدس، وحق الإنجيل المقدس إله واحد، أنني التزم للسلطان المنصور، سلطان مصر والشام وحلب واليمن والحجاز وسلطان مكة البيت العالي أعزه الله تعالى، وسلطان القدس والساحل حتى طرابلس الغرب وسلطان جميع المسلمين، سلطان الشرق والغرب، ملك سائر العرب والعجم، سلطان جميع الإسلام قلاوون الصالحي، وولده الأشرف خليل، الله يحفظهم وينصرهم ... [٩٦].

ومن بنودها:

١-أن تحفظ حكومة جنوة وتكرم جميع المسلمين التابعين لسلطان الملك المنصور، من الرسل والتجار، وتحفظ سفنهم ومراكبهم والشواني ومماليكهم في البروالبحر، وفي جميع أنحاء كومونة جنوة، وما يفتحونه من البلاد ويحكمون عليه من تاريخ هذه الهدنة.

٢-وأن يتمتع التجار الجنوية بالحماية على أرواحهم وممتلكاتهم في مصر، وأعفاء جنوة من بعض الرسوم الجمركية في موانئ مصر، وتعهد لهم السلطان المنصور قلاوون بحماية رعاياهم وأموالهم، وجعل لهم فنادق يسكنون فيها[٩٧].

٣-أصبح لجنوة قناصل في الإسكندرية، تكون مهمتها المحافظة على سلامة مواطنيهم، وتطبيق قوانين التجارة، حيث كان التجار الأجانب يقدمون على مصر يسجلون اسماءهم في مكاتب القنصلية من أجل حصولهم على الامتيازات المبرمة في المعاهدات المعقودة[٩٨].

وذكر ابن عبدالظاهر نسخة اليمين التي حلف عليها الرسل:

" والله، والله، والله، وحق المسيح، وحق المسيح، وحق المسيح، وحق الصليب، وحق الصليب، وحق الأب والابن والروح القدس، وحق الست مارية أم النور، وحق الأناجيل

الأربعة، وحق ديني ومعبودي واعتقادي في دين النصرانية، إنني لم أخف شيئاً مما وجد لهؤلاء التجار المسلمين، من أموالهم ولا بضائعهم، ولا أطلعت على أنه بقى منهم أحد في الأسر... وقد احضرت معي ثمن السكر والكتان والفلفل، والمركب وعدتها من غير زيادة على ذلك ولا نقص..." (٩٩).

وبعد عقد هذه المعاهدة أصبح الجنويين سادة التجارة الشرقية سواء في مصر أو بلاد الشام، وتعتبر من أهم المعاهدات التجارية التي عقدت في ذلك الوقت، ولم يسبق لأي مدينة تجارية اخرى أن تعقد مثلها في تلك الفترة، وكان التجار الجنويين يجلبون البضائع المتنوعة إلى مصر وبلاد الشام ومن ضمن تلك البضائع الجلود والزيوت والمنسوجات والخيول والأسلحة والحديد والنحاس والرصاص والأخشاب والحبوب، كما نقلوا من مصر وبلاد الشام إلى الغرب بضائع مختلفة منها الملح والمرجان والبلسم والشمع والعسل والسكر والتوابل والفواكه والتين المجفف والزيتون والأرز والملابس والأواني وغيرها(١٠٠).

وبفضل المعاهدة أخذت العلاقات التجارية تعود إلى مجاريها القديمة بين الكيانات الصليبية مع باقي المدن الإسلامية في الشام، كما ضمنت تلك المعاهدة قيام التجارة وحقوقها وحقوق التجار في كلا الطرفين.

الخاتمة

من النتائج التي انتهى إليها البحث إلى مايلي:

- لجأت الدول والممالك منذ القدم إلى التفاوض خلال النزاعات والصراعات لإنهاء خلافاتها، وإلى عقد الاتفاقيات مع بعضها لأهداف سياسة وتجارية، وقد أقرت الشريعة الإسلامية هذه الاتفاقيات، وبينت الشروط اللازمة لصحة هذه الاتفاقيات.
- عندما تولى السلطان المنصور قلاوون الحكم توجه إلى مهادنة الصليبيين، حتى يتسنى له مواجهة التحديات الداخلية، كما ان الصليبيين كانوا يبادرون لطلب الصح مع السلطان المنصور قلاوون.
- انتهج السلطان المنصور قلاوون سياسة تحقيق الانتصارات الميدانية على الأرض قبل الاتفاقيات السياسية، وفرض السيطرة على الحصون والقلاع المهمة، التركيز على الجوانب الاقتصادية أثناء عقد الاتفاقيات، احترام بنود الاتفاقيات والمعاهدات وعدم نقضها، إلا أذا نقضها العدو.
- اهتم الصليبيون بمهادنة السلطان المنصور قلاوون والتودد إليه وعدم معاداته، وحاولوا الوقوف على الحياد بين المماليك أثناء صراعاتهم الداخلية.

Abstract

Agreements and treaties between the Mamluks and the Crusaders during the reign of Sultan Al-Mansur Qalawun (٦٧٨-٦٨٩ AH / ١٢٧٩-١٢٩٠ AD)

By Abdullah bin Plus bin Salim Al-Nafei

This research aims at shedding light on all agreements and treaties that took place between Mamluk Sultanate and the Crusaders during the reign of Sultan Al-Mansur Qalawun, as well as focusing on the method of both parties in managing these agreements and treaties, the extent of compatibility of the policy of Mamluks in concluding agreements with Islamic law, and the extent of the success of Sultan Al-Mansur Qalawun in Defending the values and rights of the Islamic Ummah and liberating its lands and sanctities from the Crusaders, whether by war, jihad, or diplomatic means.

This research also addresses some texts of agreements and treaties that took place between Sultan Al-Mansur Qalawun and the Crusaders and the most important things they touched.

This research concludes important results, which reveal that the Crusader Islamic conflict was not only a war struggle, but also included political and economic relations between the two parties. The Islamic and Crusader agreements and treaties resulted in the resolution of many conflicts between them and the achievement of political and economic benefits for both parties.

الهوامش

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير،(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج٤،(بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م)، ١٩٣.

(٢) عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلم، (الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٩م)،١٣.

(٣) التويجري، الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلم، ١٣.

(٤) علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط١، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦م)، ٢٧-٢٩.

(٥) محمود الديك، المعاهدات في الشريعة الإسلامية، (عمان، الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ١٢٣.

(٦) محمد منير الغضبان، التحالف السياسي في الإسلام، ط١، (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٢م)، ١٠٧-١٠٨.

(٧) عثمان بن جمعة ضميرية، المعاهدات الدولية في فقه الامام محمد الشيباني، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٧ه)، ١٥٨.

(٨) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير، ج٤ (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٨م)، ١٩٤؛ خليل فهد سيباني، المفاوضات والاتفاقيات، (بيروت، دار الراتب الجامعية، ٢٠٠٣م)، ١٣٨.

(٩) يوسف غوانمة، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، ١٣١.

(١٠) القاضي محي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد ادين بن نشوان السعدي المصري ابن عبدالظاهر، (ت ٦٩٢ه/١٢٩٢م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ومحمد علي نجار، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م)، ٤٥.

(١١) محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ط١، (بيروت، دار النفائس للطباعة

والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ٦٦٢.
(١٢) سامية عامر،الصليبيون في فلسطين، ط١،(القاهرة، عين الدرسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م) ، ١٣٧.
(١٣) من الأدلة التي تثبت أن الصليبيين كانوا يستغلون الفرص في الهجوم على المسلمين في الاوقات الحرجة ما ذكره ابن الفرات أنه سنة ٦٧٩ه كتب أمير الشام إلى قلاوون يستأذنه في غزو الصليبيين في المرقب لأنهم لما بلغهم قدوم المغول قويت نفوسهم وامتد طمعهم فأذن السلطان قلاوون في ذلك. ناصر الدين محمد عبد الرحيم بن علي الحنفي ابن الفرات، ج٧، (ت ٨٠٧ه/١٤٠٤م)، تاريخ الدول والملوك، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، (بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٤٢م)، ١٩٥.
(١٤) عمر موسى باشا، الادب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٨٩م) ، ٩٣.
(١٥) الإسبتارية: هي هيئة رهبانية عسكرية محاربة، وتمتد جذورها في الأراضي المقدسة إلى ما قبل قيام الحملة الصليبية الأولى، وهناك من يشير إلى أن بعض أهالي أمالفي، قاموا بتأسيس مستشفى في بيت المقدس سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م على شرف بطريرك القدس يوحنا، وكان هذا المستشفى قد أقيم من أجل إيواء الحجاج اللاتين، وقد تطور المستشفى مع مضي الوقت إلى مقر هيئة فرسان القديس يوحنا أو الإسبتارية، ويرجع تأسيس هيئة فرسان الإسبتارية إلى جيرا رد، وفي سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م اعترف بابا روما بهيئة فرسان الإسبتارية، وقد حصلوا على كثير من المنح في فلسطين وأوروبا. الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٣٠– ٨٣١، يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعد البيشاوي، ط١، (عمان، دار الشروق، ١٩٩٨م)، ٨٦– ٨٧.
(١٦) محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م) ، ٢٢٨.
(١٧) صافيتا: منطقة بالشام بالقرب من جبال النصيرية. محمد كرد علي ، خطط الشام، ط٣، ج٣، (دمشق، مكتبة نوري، ١٩٨٣م) ، ٥٩.
(١٨) قسطلان: لفظ لاتيني يعني حارس القلعة أو القصر. محمود شلبي، حياة الظاهر بيبرس، ط١، (بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع١٩٩٢م)، ٢٥١.
(١٩) المنصوري، زبدة الفكر، ج٩، ١٦٣.
(٢٠) المنصوري، المصدر السابق، ج٩، ١٦٣.
(٢١) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٨٠؛ أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري، (ت٦٤٥ه/١٢٤٧م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، (القاهرة، المعهد الألماني للآثار الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ، ج٨،٢٣٩؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ح٢٩، (القاهرة، مركز تحقيق التراث، ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ١٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م٧، ١٩٥.
(٢٢) الروحاء: تقع مدينة الروحاء على نهر الزاب من نواحي الرمينية، محمد بن محمد بن عبدالله الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١،ج٢، (بيروت، عالم الكتب،١٩٨٩م) ، ٦٥٨.
(٢٣) سرور، مرجع سابق، ٢٢٨؛ محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م)، ١٣١؛ محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م)، ١٩٩.
(٢٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥ه)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ج٢، ط٢، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ١٣٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ٤٩.
(٢٥) الأمير فخر الدين المقري: أياز الامير الكبير فخر الدين الصالحي، أحد حجاب السلطان الظاهر بيبرس، وكان يعتمد عليه في المهمات ويثق به، ولما تولى المنصور قلاوون السلطنة جعله أمير حاجب، وزادت منزلته عنده. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله،(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج٨، (بيروت، دار حيا الحديث، ٢٠٠٠م)، ٢٤.
(٢٦) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٨٢.
(٢٧) النويري، المصدر السابق، ج٣١، ٤٩.
(٢٨) البرنس لفظ فرنسي (Al Prince) يعني: الأمير، شافع بن علي العسقلاني، الفضل المأثور من

سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م)، ١٤٥

(٢٩) كوندك: هو سيف الدين كونداك الساقي، مغولي من خاصكية السلطان السعيدة بركة ابن السلطان المنصور قلاوون. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، ج٣، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ٣٤٢.

(٣٠) المقريزي، السلوك، ج١، ٦٨٦؛ دريد عبدالقادر نوري، سياسة قلاوون تجاه الصليبيين، (الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد ٩،١٩٧٨م) ، ٥٥-٥٦..

(٣١) بوهيموند السادس: حاكم طرابلس ١٢٥١ -١٢٧٥م/ ٦٨٤-٦٧٣هـ. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصيبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ج٣، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٣م)، ٨٤٣.

(٣٢) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلامي ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط٢، ج٤٩،(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م)، ٥٥؛ ابن أيبك الدواداري، الدرة الزكية، ١٥٨؛ ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، ط١،(الرياض، ١٩٧٦م)، ٣٨٣؛ المنصوري، زبدة الفكر،ج ٩، ١٣٣؛ عمر تدمري، تاريخ طرابلس، ج١، ٥٦٤-٥٦٦.

(٣٣) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ٥٩٢.

(٣٤) شافع بن علي العسقلاني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، ١٤٧.

(٣٥) بوهيموند السابع: (١٢٨٧/١٢٦١م) حاكم طرابلس، حكم بعد وفاة والده بوهيموند السادس سنة ١٢٧٥م. المقريزي، السلوك، ج١، ٦٨٥.

(٣٦) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج٧، ٢٠٤؛ قاسم عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط١، (القاهرة، عين لدراسات والبحوث، ٢٠٠٥م)، ١٨٠.

(٣٧) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٧٧؛ المنصوري، زبدة الفكر، ٢١٠؛ ؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ١٣٩.

(٣٨) المنصوري، زبدة الفكر، ٢٠٩؛ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، م٧، ٢٢٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣، ٧٧؛ عبدالعزيز السالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط١ (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م)، ٢٨٤.

(٣٩) النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج٣١، ٧٧؛ طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ط١، (بيروت، دار النفائس، ٢٠١١م)، ١٩٩.

(٤٠) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٢٠٨-٢٠٩.

(٤١) ابن عبدالظاهر، مصدر سابق، ص ٢٠٤؛ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ٢٣٠.

(٤٢) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٢٠٧.

(٤٣) الداوية: هيئة دينية عسكرية، عرف أعضاؤها باسم فرسان المسيح الفقراء أو فرسان المعبد، وكان الهدف من إنشائها تأمين طرق تنقل الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس، وإيوائهم في المشافي والعناية بصحتهم، ثم تحولت إلى فرقة مستقلة جعلت من الصليب الأحمر شارة لها، وتتألف هذه الفرقة من ثلاث طبقات هي : الفرسان، الأجناد، ورجال الدين، وقد شاركت هذه الفرقة في جميع الأعمال العسكرية التي قامت بها مملكة بيت المقدسحسن حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ط١، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م)، ص٨٨؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ٢٤٩-٢٥٠.

(٤٤) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ط١، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٠م)، ٩٠.

(٤٥) عيد مرعي، رحلة في عالم الآثار، ط١، (دمشق، روافد للثقافة الفنون، ٢٠١٠م)، ٨٨.

(٤٦) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، (موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦م)، ١١٩.

(٤٧) أحمد عبدالحميد غانم، طرطوس حضارة وجمال، ط١،(طرطوس، مطبعة إياس، ١٩٩٥م)، ٥٥.

(٤٨) فولفغانغ مولرفيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، ط٢، (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤م)، ٦١.؛ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٨، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٩م)، ٣٤٥.

(٤٩) كمندور: هو أحد أبرز القادة السياسيين الصليبيين، وتولى حكم طرسوس، وينسب إليه عقد معاهدات مع المسلمين، بدر الدين محمود العيني، (ت ٨٥٥ه/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، ج١، (القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م)، ١٢٧.
(٥٠) الناصر صلاح الدين الإيوبي: سلطان الدولة الإيوبية (٥٨٩-٥٦٧ه/١١٧٤-١١٩٣م)، ومؤسسها، وأهم أعماله القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس من الصليبيين، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ٩٢١.
(٥١) أبو عليان، الجهاد في عهد المماليك،٦٠؛ حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط١،
(الإسكندرية دار المعرفة الجامعية،١٩٨٩م)، ٤٨١.
(٥٢) ابن عبدالظاهر، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ابن حبيب ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد امين، ج١، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م)، ٢٠.
(٥٣) المنصوري، زبدة الفكر، ٢٣٠؛ اين عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٢٢؛ ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، (ت٨٧٤ه)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد رمزي، ج٨، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٧٢م).ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١.
(٥٤) صيدا: تعد من أعمال دمشق، تقع على ساحل بحر الشام. شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، (ت٦٢٦ه/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج٣،(بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م)، ٤٣٧.
(٥٥) عتليت: ميناء على ساحل فلسطين، وشهرتها ترجع لعصر الحروب الصليبية ففي سنة ٥٨٥ه/١٢٨٤م فتحها صلاح الدين، وتمكن الأشرف خليل من فتحها سنة ٦٩٠ه/١٢٩١م. أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج١٤، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م)، ١٥٧.
(٥٦) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٣٤.
(٥٧) السنجال: هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (sénéchal) المأخوذة من اللفظ اللاتيني (senescallus) والجرماني (siniscale) وهو الأقرب إلى لفظ السنجال ومعناها هنا النائب أو الكفيل على حد التعبير العربي في ذلك العصر والمقصود به أودو بولشيان (Odo Poilechier) نائب المملكة بعكا". ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٣٤، حاشية رقم ٥.
(٥٨) فرير نيكول Fr. Lorgne Le Nicholas)) وهو مقدم بيت الأمن أي المسؤول الامني .Fr Lorgne Le. ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ٣٥، حاشيه رقم ١.
(٥٩) فرير كليام ديباجوكFrere Guillowme de Badjouk))، مقدم بيت الداوية بعكا والساحل. النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج٣١، ٦١.
(٦٠) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ٩٨٦؛ عبدالظاهر، مصدر سابق، ٣٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى ج١٤، ٥٢.
(٦١) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ١٦٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ٣٤١.
(٦٢) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ٢٦٣-٢٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ٥٦-٧٣، راغب حامد البكر، الأسرى المسلمون في الحروب الصليبية، الموصل، مجلة آداب الرافدين،ع ٢٥، ٢٦١.
(٦٣) سرور، دولة بني قلاوون ١٣٣-٢٣٦. امين معلوف، الحروب الصليبية ٣١١.
(٦٤) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٢١٣.
(٦٥) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٢١٤.
(٦٦) الغبطة: أي الربح والكسب. النويري، نهاية الأرب، ج١٦، ١٠١.
(٦٧) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ٦٣.
(٦٨) سيس: عاصمة أرمنية الصغرى، وتقع بين أنطاكيا وطرسوس شمال الشام والجزيرة، وأخضعها السلطان قلاوون لحكمه. ياقوت الحلبي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٧-٢٩٨.
(٦٩) ليفون بن هيثوم بن قسطنطين بن باسال ملك الأرمن، وقد امتد حكمه من (١٢٧٠ إلى١٢٨٩م)، وهو وهو القائم بأعمال الملك هيثوم لغيابة عن السلطة لانقطاعه للرهبنة والعبادة حسب ابن عبدالظاهر، أما رنسيمان فيذكر أنه كان في تبريز يلتمس معاهدة مغول فارس ضد المماليك. ابن عبدالظاهر، الروض

الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ٢٩٦-٢٧٠؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ٥٥٣؛ عز الدين محمد ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، ج٣، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م)، ٦٩٥.

(٧٠) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٩٢-٩٣.

(٧١) ابن عبدالظاهر، مصدر سابق، ٩٢-٩٣.

(٧٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ١٠٣؛ حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، ٤٥١.

(٧٣) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ٩٤-٩٥.

(٧٤) صور: تقع على ساحل بحر الشام، يحيط بها البحر من ثلاث جهات، من الثغور الإسلامية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣.

(٧٥) كان سيدا لإقطاع تبنين الصليبي، ثم بسط سيادته على صور ابتداء من سنة ٦٤١ه/١٢٤٣م، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ٣٨٤.

(٧٦) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م)، ٨٩٧.

(٧٧) المقريزي، السلوك، ج١، ٥٤٥.

(٧٨) العيني، عقد الجمان، ج٢، ٨١.

(٧٩) النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، ٣٣٣.

(٨٠) ابن عبدالظاهر، مصدر سابق، ١٠٣؛ محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، ٣١٦.

(٨١) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٠٣-١١٠؛ محمد جمال سرور، دولة بني قلاوون، ٢٣٨.

(٨٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٠٤.

(٨٣) مملكة أرغون: دولة مسيحية في شمال شرق الأندلس. اسحاق ابن الحسين المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ه)، ١٠٨.

(٨٤) صقلية: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط يحدها من الشمال والشمال الشرقي ايطاليا ومن الجنوب الغربي ليبيا وتونس، إلا إنها اقرب إلى ايطاليا من أفريقيا، لها أسبقية التحكم الملاحي بين القارتين القديمتين أوروبا وأفريقيا.
م. رستوفترف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تحقيق: زكي علي، محمد سليم سالم، (القاهرة، مكتبة النهضة العصرية، ١٩٧٩م)، ٢٨٦.

(٨٥) ذو فنش: كان يطلق هذا الأسم على كل ملوك الفرنج بطليطلة وبرشلونة من اسبانيا حتى لو كان الملك يحمل أسماً غير ذلك. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٨٤.

(٨٦) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٥٧؛ حداد، السلطان المنصور قلاوون ، ١٠١.

(٨٧) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٥٩-١٦٠؛ محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م)،٤٨٤-٤٨٥.

(٨٨) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ١٥٩؛ القلشندي، صبح الأعشى، م٥، ٢٠٧-٢٣٠.

(٨٩) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ١٥٩- ١٦١؛ سرور، دولة بني قلاوون، ٢٣٩؛ طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ٢٠٠.

(٩٠) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٦٤.

(٩١) ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ١٦٢-١٦٣.

(٩٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ١٦٣-١٦٤.

(٩٣) جنوية: مدينة بإيطاليا على ساحل البحر المتوسط، كثيرة المزارع والمباني، ولأهلها أسطول قوي ومعظمهم يعملون بالتجارة. الحميري، الروض المعطار، ١٧٣.

(٩٤) خالد محمد القاسمي، العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٨م)، ١٣٣.

(٩٥) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور، ١٦٥-١٦٧. طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ٢٠٠.

(٩٦) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور، ١٦٥-١٦٧. طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ٢٠٠.

(٩٧) ف . هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ط١، ج٢، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ٧١.
(٩٨) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ٣٨٢؛ عفاف صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م)، ٥٧.
(٩٩) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور، ١٦٩.
(١٠٠) مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨١م)، ٣٠٥-٣٠٩

المصادر

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد عبد الرحيم بن علي الحنفي، (ت ٨٠٧ه/١٤٠٤م)، تاريخ الدول والملوك، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، ج٧، (بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٤٢م).
- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، (ت٦٤٥ه/١٢٤٧م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، (القاهرة، المعهد الألماني للأثار الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- ابن تغردي بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت٨٧٤ه)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد رمزي، ج٧، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٧٢م).
- ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد امين، ج١، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م).
- ابن شداد، عز الدين محمد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، ج٣، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م).
- ابن عبدالظاهر، القاضي محي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد ادين بن نشوان السعدي المصري، (ت ٦٩٢ه/١٢٩٢م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ومحمد علي نجار، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م)
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر ،(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج٤،(بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م).
- الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١،ج٢، (بيروت، عالم الكتب،١٩٨٩م).
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت٦٢٦ه/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج٤،(بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).
- الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم ، (ت٩٠٠ه،١٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٧٥م).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلامي ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م).
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، ط١،(الرياض، ١٩٧٦م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت١٢٥٠م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير، ج٤ (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٨م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله،(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، م٢٤، (بيروت، دار حيا الحديث، ٢٠٠٠م).
- العسقلاني، شافع بن علي، (ت٧٣٠ه/١٣٣٠م)، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م).

- العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥ه/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، ج٢، (القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م).
- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج١٤، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت ٨٤٥ه)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ج١، ط٢، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- المنجم، اسحاق ابن الحسين، (ت٤٥٤ه/١٠٦٢م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ه).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة، مركز تحقيق التراث، ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

المراجع

- أبو عليان، عزمي، الجهاد في عهد المماليك،٦٠؛ حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط١، (الإسكندرية دار المعرفة الجامعية،١٩٨٩م).
- باشا، عمر موسى، الادب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٨٩م).
- تاريخ الحروب الصليبية، ط١، (بيروت، دار النفائس، ٢٠١١م).
- التويجري، عبدالعزيز بن عثمان، الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلم، (الرباط، المنضمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٩م).
- حتي، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ط١، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٠م).
- الحداد، محمد حمزة ، السلطان المنصور قلاوون، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م).
- حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م).
- الديك، محمود، المعاهدات في الشريعة الإسلامية، (عمان، الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣).
- رمضان، عبدالعظيم، الصراع بين العرب وأوروبا، ط١،(القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م).
- زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٨، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٩م).
- السالم، عبدالعزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط١ (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م).
- سرور، محمد جمال الدين ، دولة بني قلاوون في مصر، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م).
- شلبي، محمود، حياة الظاهر بيبرس، ط١، (بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع١٩٩٢م).
- صباغ، حسن حلاق وعباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ط١، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م).
- صبرة، عفاف، العلاقات بين الشرق والغرب، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م).
- ضميرية، عثمان بن جمعة، المعاهدات الدولية في فقه الامام محمد الشيباني، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٧ه).
- طقوش، محمد سهيل، تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ط١، (بيروت، دار النفائس، للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).
- عاشور، سعيد عبدالفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط١، ج٢، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م).

- عامر، سامية، الصليبيون في فلسطين، ط١، (القاهرة، عين الدرسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م).
- علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط١، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦م).
- علي، محمد كرد، خطط الشام، ط٣، ج١، (دمشق، مكتبة نوري، ١٩٨٣م).
- العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥ه/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، ج٢، (القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م).
- غانم، أحمد عبدالحميد، طرطوس حضارة وجمال، ط١،(طرطوس، مطبعة إياس، ١٩٩٥م).
- الغضبان، محمد منير، التحالف السياسي في الإسلام، ط١، (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٢م).
- قاسم، عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط١، (القاهرة، عين لدراسات والبحوث، ٢٠٠٥م).
- الكناني، مصطفى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨١م).
- مرعي، عيد ، رحلة في عالم الآثار، ط١، (دمشق، روافد للثقافة الفنون، ٢٠١٠م)
- المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م).

المراجع الاجنبية المترجمة

- ديورانت، ويليام جيمس ، قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون، ج١٢، (لبنان، دار الجيل للطباعة والنشر، ١٩٨٨م).
- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصيبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ج٣، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٣م).
- زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، (موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦م).
- فولفغانغ، مولرفيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، ط٢، (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤م).
- م. رستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تحقيق: زكي علي، محمد سليم سالم، (القاهرة، مكتبة النهضة العصرية، ١٩٧٩م).
- هايد، ف. ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ط١، ج٢، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م).